

المقارنة الأسلوبية بين الشعر الجاهلي والإسلامي شعر الهجاء أنموذج

Stylistic comparison between pre-Islamic and pre-
Islamic poetry Satire poetry is a model

إعداد

حسين عبد النافع أبانكندا

Doi: 10.12816/jnal.2020.126705

القبول : ٢٠٠٠/٧/٢٠

الاستلام : ٢٠٢٠/٧/٣

المستخلص :

اخترت هذا الموضوع - " المقارنة الأسلوبية بين الشعر الجاهلي والإسلامي شعر الهجاء أنموذج " - بغية للتعرف على مواطن الجمال في الشعر العربي القديم؛ لأنه لم يزل معينا ينهل منه الأدباء واللغويون؛ إذ يرجعون إليه لأخذ الأساليب، والفنون الشعرية، و إذا ظل الأمر على هذا النمط؛ فرأى الباحث من الأولى أن يقع اختياره فيما يُنمّي مهارته اللغوية؛ لكوني أجنبياً في لغة الشعر، و بالإضافة إلى ذلك، أنّ دراسة صورة الهجاء في الشعر العربي لم تجد عناية كبيرة لدى الدارسين والباحثين، ولعلّ السبب في ذلك أنّ الهجاء في طبيعته مما لم تشتته النفوس.

ومن خلال الوقت الذي قضيته لإنجاز هذا البحث ، لا يكاد يوجد أي إشكالية ، أو معوّق يعوّقني لاستمرار هذا العمل ، سوى بعض الصعوبات منها ، صعوبة فهم بعض الكلمات في البيت الشعري ممّا يؤدي عدم فهم القصيدة برمتها ، و منها عدم وضوح أساليب الكتاب أو المؤلفين في بعض الكتب، لكن بعد الفحص الدقيق عثرت على حقيقته ، حيث تمّت معالجة هذا البحث من خلال فصلين من بحثي هذا ، تناول الفصل الأول ، ثلاثة مباحث ، المبحث الأول دار على الهجاء بالبخل ، والمبحث الثاني ، حول الهجاء بالكفر ، المبحث الثالث ، يتركز على الهجاء بالجبن ، و أما الفصل الثاني ، اتجهت فيه إلى ثلاثة مباحث - كذلك كما أوردتها في الفصل الأول ، - المبحث الأول ، تناول الظواهر الأسلوبية الأدبية بين العصرين الجاهلي والإسلامي ، والمبحث الثاني حول ظاهرة التكرار في شعر الهجاء الجاهلي ، و المبحث الثالث دار على ظاهرة التكرار في شعر الهجاء الإسلامي .

وذكرت أبرز النتائج التي استنبطتها خلال دراستي لهذا البحث حيث إنّي تواصلت على الاختلاف بين أسلوب الهجاء في العصر الجاهلي وبين العصر الإسلامي لكن

نتائج هذه لا يفرض أن نجد من يعارض هذا الرأي، و لا يخلو من أن نجد فيه النقص ، لأنّ الكمال لله سبحانه وتعالى ، عسى أن ينفعني هذا البحث و كل من ساهم فيه .

التمهيد

الهجاء كما جاء تعريفه في المعجم الوسيط "هجا الكتاب ، هجوا وهجاءً ذمّه وعدّد معانيه ويقال : المرأة تجهو صحبة زوجها^١"، وقال الرازي في مختار الصحاح : "الهجاء ضد المدح و بابه عدا"^٢.

و أما الهجاء في الشعر العربي فهو ضرب من الشعر نقيض المديح ويقوله الشاعر عندما يريد ان يعبر عن سخطه و غضبه من شخص آخر ، إذأ فلا فرق بين معناه اللغوي ومعناه الأدبي في صفحات الشعر، و هنالك اختلاف أسباب الهجاء في العصر الجاهلي والعصر الذي بعده عندما ترى شاعرا يهجو شخصا أو قوما بسبب أذية مثلما نجد عند الحطيئة الذي لا يسلم أحدا من هجائه حيث هجا أمه وزوجه حتى نفسه^٣.

و الافتخار بالأنساب و ما إلى ذلك بينما ترى شاعرا في ميدان الهجاء في العصر الإسلامي يلبس ثوبا جديدا وقد يكون بسب الدفاع عن الرسول والتصدي عن الدعوة الإسلامية ولمواجهة أعدائها. كما نجد في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما يحث حسان بن ثابت على الرد وهجاء قريش عنه، و يدعو له بمثل " اللهم أيده بروح القدس و استمع الرسول إلى بعض هجائه لهم فقال : " لهذا أشد عليهم من وقع النبل"^٤

و من الجدير بالذكر أنّ من سنن الكون عدم لزوم أحوال ظواهر حياة الإنسان اجتماعية كانت أو فكرية أو سياسية إلى غير ذلك ، و ان دلّ هذا القول على مدلول فإنّ الشعر العربي جدير بالذكر في هذا الصدد ؛ إذ أنّه يتغيّر ويتطور عبر العصور الطويلة المتعاقبة ، وكلّ عصر يتسمّ بأساليبه الخاصة ، و لكلّ بيئة في ذاك العصر ما يلائمها ؛ لذلك نرى علماءنا الذين ساهموا كثيرا في المسألة النقدية المهمة وهي قضية الشعر من حيث القوة والضعف في عصر صدر الإسلام، أمثال الأصمعي في كتابه "الشعر والشعراء" ، و عبد سلام الجمحي في كتابه " طبقات فحول الشعراء " ، ولنسمع ما قاله الأصمعي عن ذلك : طريقة الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا

^١ انظر معجم الوسيط صفحة ١٠١٥ الطبعة الخامسة ٢٠١١م لمجمع اللغة العربية بمكتبة الشروق الدولية

^٢ انظر مختار الصحاح للرازي صفحة ٥٠٣ ضبط ومراجعة أ. خليل توفيق موسى دار الإرشاد للنشر ١٩٨٩م

^٣ الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ص، ٣١١

^٤ انظر كتاب العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف، الطبعة الرابعة والعشرين الناشر دار المعارف صفحة ٧٧

ترى حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام فلما أدخل شعره في باب الخير لان شعره .^٥

فيما أرى لو حُملت هذا القول على ما يدلّ عليه ظاهره ، أو نحمله على حقيقته لكان بعض أو جل الشعر العربي في دائرة ضيقة جدا ؛ إذ كان الأصمعي أراد أن يفيدنا أن لو ننظر في جانب المقياس الديني في النقد الشعر العربي لكان الجانب الأعظم من تراثنا العربي الموروث وهو الشعر العربي مهملاً ولم يكن مقصود قول الأصمعي يمنع من أن يدخل الشعر في باب الخير ويعني أنه كما يدخل في باب الخير يدخل في غيره لكن يرى أن الخصوصية في الشعر العربي وتمييزه تكمن في كل الأغراض المعروفة ، وإذا فرض جيد الشعر على الجانب الديني أي " المقياس الديني " سوف يضيع جانب كثير من هذه الخصوصية ،^٦

و انطلاقاً من هذا القول بأن تُخرج الهجاء من دائرة أغراض الشعر العربي لكون الإسلام لم يشجعه إلا للدفاع عن الدعوة كما قلنا مسبقاً ، فإنّ صفة الجمال الشعري ينتقي ولا تقلّ القيمة الشعرية في هذه الحالة.

نرى عبد سلامّ الجمحي تناول هذه القضية النقدية المهمة في كتابه " طبقات فحول الشعراء " قائلاً : " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه ، فجاء الإسلام ، فتشاغل عنه العرب ، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته و فلماً كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار رجعوا رواية الشعر ، فلم يئلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، و ألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتال ، فحفظوا أقلّ ذلك ، وذهب عنهم منه أكثر.^٧ أعتقد في هذا القول السابق ذكره أن صورة الشعر العربي الجاهلي سواء كانت في الهجاء أو غيره تختلف عن صورة الشعر الإسلامي في قوة المعنى و البيان ، لهذا عندما نقارن الشعر الجاهلي مع الشعر الإسلامي بغرض من أغراضه نرى الفرق الشاسع بينهما في الجمال مثلاً أن الإسلام هدّب الشعر بكل أنواعه ومنه الهجاء ، و في هذا الصدد لا يخفى علينا القول إنّ :

الهجاء يصوّر عاطفة الغضب أو الاستهزاء و الاحتقار و الحماسة الدافقة مما تؤدّي إلى الحرب و الانتصار بالقبائل و الاستنجد و ما إلى ذلك،^٨

^٥ انظر كتاب "الهجاء والهجاءون في الجاهلية" للدكتور محمد محمد حسين الطبعة الثانية

١٩٧٠م دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان صفحة ٢١١

^٦ انظر مفضيات الضبي

^٧ انظر كتاب " طبقات فحول الشعراء " لمحمد بن سلامّ الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر ،

السفر الاول مطبعة المدني القاھر صفحة ٢٥

^٨ انظر كتاب " في أدب ما قبل الإسلام للدكتور محمد عثمان علي

الشعراء الذين اشتهروا بالهجاء في العصر الجاهلي بمن فيهم الحطيئة ، و بشر بن أبي خازم ، و الجميح منفذ بن الطماح الأسيدي. و في العصر الإسلامي نرى أمثال ، حسان بن ثابت و عبد الله بن رواحة و حطيئة كذلك ؛ لأنه مخضرم ، و جرير و الفرزدق.

الفصل الأول

المبحث الأول

الهجاء البخل: مما كان يسبب الهجاء ، ويدفع الشاعر إليه هو البخل ، و من المعروف أن العرب سواء كان في العصر الجاهلي أو الإسلامي اتصفت بصفة الكرم ، بالدليل أننا نرى حسان بن ثابت يمدح قومه قاتلا :

لنا الجففات الغر يلما بالضحى * وأسيفنا يقطرن من نجدة دما^٩

وإن كان هذا البيت في حقل خصب للنقد الأدبي العربي القديم؛ إذ من هو من الأبيات التي يتمثل به النقد الانطباعي الذي اتسم به النقد القديم، كما تُضرب به المناظرة بين الشعراء القدامى، النابغة الذبياني وحسان بن ثابت ولأعشى لكنّ يعنينا الاستدلال بالبيت على صفة كرم العرب. وليس أدلّ على ذلك ممّا نرى عند الحطيئة في قصيدته " ضيف ولا قرى" كما وجدنا ابنه يريد أن يسلم نفسه؛ ليسدّد مكان اعتذار أبيه عن العدم، ودلّ ذلك على علو قدر العرب بصفة الكرم^{١٠}، ولعلّ من المفارقة في الوضع أن نرى شاعراً يهجو شاعراً آخر بالبخل مما ينتقض " الكرم" الذي عُرفت به العرب.

يصف الشاعر من يريد هجاءه، بصفة البخل، و يببالغ في وصفه بالبخل^{١١} و نجد ذلك في قول بشر بن أبي خازم يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائي و قبيلته طائيا، حيث وصفهم بالبخل والتخلي عن إعانة الفقير و إنعاشه.
يقول:^{١٢}

الأ بلحت خفارة آل لأم * فلا شاة ترد ولا بعيرا
لنأمن الناس ما عاشوا حياة * وأنتنهم إذا ماتوا قبورا
وأنكاس غداة الروع كشف * إذا ما البيض خلين الخدورا
ذبابي لا يفون بعهد جار * وليسوا ينعشون لهم فقيرا
إذا ما جنتهم تبغي قراهم * وجدت الخير عندهم عسيرا^{١٢}

^٩ فيما رواه أبو أحمد العسكري في كتابه " المصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط/٢ ١٩٨٤ م، ص، ٣

^{١٠} انظر شرح ديوان الحطيئة صفحة ١١٥

^{١١} كتاب في ادب ما قبل الإسلام دراسة وصفية تحليلية للدكتور محمد عثمان علي

^{١٢} انظر ديوان بشر صفحة ٩٠ وكتاب في أدب ما قبل الإسلام

ولو نظرنا إلى هذا البيت نجد أن الشاعر يهجو آل لأم ويصفهم بالبخل وعدم أداء حقوق الجار ولا يرحمون فقراءهم وهذا واضح بقوله: ذبابي لا يفون بعهد جار وليسوا يُنعشون لهم فقيرا، كما أنّهم مقصرون في حق ضيوفهم. ومما ورد ذكره في الهجاء بالبخل أيضا، إنّ الأعشى يهجو علقمة بن علاته بالبخل ' يقول:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم * وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا
" وقيل: لما سمع علقمة بن علاته هذا البيت، بكى وقال: أ نحن فعل هذا بجاتنا؟
ودعا على الشاعر. فما طنك بشيء يبكي علقمة بن علاته ' وقد كان عندهم لو ضرب
بالسيف ما قال: حين؟ وهذه الكلمة تقال عند الألم"^{١٣}
وأعتقد أنّ ظاهر هذا البيت جاء عتابا لبني علقمة بأنهم ينامون وبطونهم مليئة
بالطعام مع أنّ بطون جاراتهم فارغة، وهذا عيب كبير و عار جدا لهذه القبيلة مصدقاً
لقول الإمام الشافعي رحمه الله يقول:

ولو أنّني أسعى لنفعي وجدتني * كثير التواني للذي أنا طالبه
ولكنني أسعى لأنفع صاحبي * و عار على الشبعماني ان جاء صاحبه^{١٤}
ومن الشواهد في هذا الإطار أي الهجاء بالبخل أنّنا وجدنا حطيئة هجا الزبرقان في عهد
عمر- عليه السلام- هجاءً مرأً وذلك حين مدحه ولم يعطه المال وقال الحطيئة:
دع المكارم لا ترحل لبغيته * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي،^{١٥}
وجدير بالذكر أنّ الأسلوب الشعري في العصر الجاهلي يختلف عن أسلوبه في
العصر الإسلام. نظرا إلى أن هذا البيت الذي يمثل شعرا عربيا إسلاميا للهجاء ولا يفهمه
إلا من كان له ذوق أدبي؛ لأنّ الشاعر لا يصرح بالألفاظ تدلّ على الهجاء غير أن
الشاعر نزل من يهجو منزلة المرأة.

المبحث الثاني

الهجاء بالكفر

نكتفي بذكر الشعر الإسلامي في هذا الإطار دون ذكر الشعر الجاهلي لكون كلمة
الكفر متداولة ومستخدمة في العصر الإسلامي غير العصر الجاهلي وإذا استخدمت أي
" كلمة الكفر " في العصر الجاهلي لا يعني بالكفر الذي نحن بصدده.
" الواقع لقد عرض الهجاء في صدر الإسلام لأحوال المنافقين، وسلوكهم، فقرّع
أعمالهم، وصوّر ملذتهم وأظهر انغماسهم في متع الدنيا الفانية، و أنّب كذبهم، ونفاقهم،

^{١٣} انظر كتاب الأدب العربي في الأندلس للدكتور عبد العزيز عتيق صفحة ٢٤٢

^{١٤} انظر ديوان الإمام الشافعي لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي جمعه وعلّق عليه محمد
عفيف الزعي الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢م مركز الطباعة والنشر الإسلامي

^{١٥} انظر ديوانه صفحة ١٠٨

من دون شتم وأسباب، ودعاهم إلى التوبة إلى الله، وطلب مغفرته، مستعملا معهم في أسلوب الترغيب في دخول الإسلام.

بيد أن الهجاء في صدر الإسلام لم يرتق إلى صورته في القرآن، الذي لم يزد على وصف الكفار والمشركين بأنهم لا يفقهون " وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كلَّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله " ^{١٦} يبدو منطقيا أن قريشا والمشركين بصورة أدق، كانوا يخافون من الهجاء الذي عرفوا في الجاهلية. وبالتالي جزعت قريش من هجاء حسان الذي جاء على الأسلوب الجاهلي، وحسبما كانوا هم أنفسهم يهجون النبي - صلى الله عليه وسلم - وخصوصا عندما طعن نسبهم ورماهم بالهنات التي نالت من عزتهم " ^{١٧} وقال عبد الله بن الرواحة يهجو الكفار بكفرهم:

شهدتُ بأن وعد الله حق * وأن النار مثنى الكافرين

إن كل من وقف في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا " يصدقه عندما يرى شخصية في عصر معين ويتفق النظر في دوره الذي يلعبه في هذا العصر، ودوره في العصر الآخر، ومن التأكيد ألا يتغير حاله بين العصرين بالدليل أننا نرى الشعراء المخضرمين يلعبون دورا كبيرا للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن دعوته؛ لذلك نرى عبد الله بن الرواحة دائما يستمد من القرآن الكريم، ^{١٨}

ومن أمثلة على ذلك ما وجدنا عند بجير وكعب كما عرفنا أن كعبا وبجيرا والحطيئة أدركهم الإسلام، وكان أسبقهم إلى الدخول فيه بجير، وقد هجا كعب بجيرا حين أسلم مع الرسول -صلى الله عليه وسلم - بقوله:

الأبغا عني بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

شربت مع المأمون كأسا روية * فأنهك المأمون منها وعلكا

وخالفت أسباب الهدى وتبعته * على أي شئ ويب غيرك دلكا

على خلقٍ لم تُلَفْ أمّا ولا أباً * عليه ولم تدرك عليه أخا لكا

و يقال إنَّ الرسول سمع بهذا الشعر فتوعدده، و أجابه بجير فيما أجابه به

بقوله:

من مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا وهي أحزم

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من النار إلا طاهر القلب مسلم

^{١٦} سورة المنافقون الآية. ٤

^{١٧} انظر كتاب " أدب عرب الجاهلية والإسلام للدكتور منذر معاليقي صفحة ١٦٧

^{١٨} انظر كتاب العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف صفحة ٦٨

وما زال كعب على وثنيته حتى فتحت مكة كتب عليه جبير بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بقتل كل من أذاه من شعراء المشركين إلا من أعلنوا إسلامهم وجاء إلى الرسول تائباً^{١٩}

المبحث الثالث

الهجاء بالجبن

يزدحم الشعراء في هذا الإطار كثيراً لكن؛ اقتصاراً للوقت أكتفي بما قاله جرير عندما يهجو تيمًا بالجبن وقال بأنهم لا يقرّون في ميدان القتال يقول:

ترى الأبطال قد كُلموا وتيم * صحيحو الجلد من أثر الكلوم.^{٢٠}

والتأمل جدا في هذا البيت يجد أن جريرا يهجو تيمًا هجاءً مرا لكن الذي عينه عين عاجلة و ليست فاحصة يظنّ أنه يمدحهم بأنهم دخلوا المعركة و لم يصابوا مما دلّ على فروسيّتهم، و الأمر يختلف عن هذا ؛ لأنّ مهما كان الإنسان شجاعا إذا دخل في المعركة لا بد أن نرى أثر الكلم في جلده مهما كان.

و لم يكتف بما قاله جرير هاجيا التيم قول:

تمنّى التيم أنّ أباه سعد * فلا سعد أبوه ولا سعيد.

و ما لكم الفوارس يا بن تيم * ولا المستأذنون ولا الوفود.

أهانك بالمدينة يا بن تيم * أبو حفص وجدّك الوليد.

وإنّ الحاكمين لغير تيم * وفينا العز والحسب التليد.^{٢١}

" فالتيميّ ينتسب إلى غير أبيه إذ لا سؤدد له به و إذ لم تؤثّر عنه بطولة وفروسية أو ملك يقوم على بابهم فيه الحجاب والمستأذنون. ولهذا القول وجّه في هجاء الخصم ووجّه آخر في التفاخر بالذات^{٢٢}

الفصل الثاني

المبحث الأول

الظواهر الأسلوبية الأدبية بين العصرين:

لا بد أن أقول في هذه الصفحة الشعرية أن أسلوب الشعر الجاهلي ليس كأسلوبه الإسلامي إذ إن الشعر في العصر الإسلامي اكتسب ثوب الإيمان ملتزما المعاني الإسلامية، هذا في جانب وجانب آخر أن الإسلام هذب الشعر بكل أنواعه خصوصا

^{١٩} كتاب العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف الطبعة الرابعة صفحة ٨٤

^{٢٠} كتاب "الهجاء والهجاءون في الجاهلية" للدكتور محمد حسين صفحة ٣٥

^{٢١} انظر كتاب فن الهجاء و تطوره عند العرب بقلم ايليا حاوي دار الصحافة بيروت

لبنان صفحة ٣٠٨

^{٢٢} فن الهجاء و تطوره عند العرب صفحة ٣٠٩

الهجاء ولا يأتي إلا للدفاع عن الرسول و عن الدعوة الإسلامية، وقد سبق القول عما قاله الأصمعي عن ضعف الشعر في العصر الإسلامي بالدليل أنه كلما دخل في باب الخير لان، إذاً لو كنا مع الأصمعي فيما قال، لنجد أن هناك أساليب متباينة بين العصرين.

وهذه الظواهر الأسلوبية الأدبية في العصر الجاهلي.

أ: أسلوب التجريد والطنن والتعبير بالمثلث: شاع هذا الأسلوب عند الشعراء الجاهليين ويدور عليه معظم هجائهم، وهذا الأسلوب يقوم على تجريد المهجو من جميع القيم التي كانت موضع تقدير في المجتمع العربي آنذاك، كرفعة النسب والشجاعة والكرم والقوة والمرورة.....

يقول حسان ن ثابت في هائه بني مخزوم:

جزا الله مخزوما بأسوا صنيعها * أبي غير لوم كهلهما ووليدها.

ودقة أحلام ورأي مضلل * وغدر ولا يوفى بزند عقيدها.

ويقول في بيت أخر يهجو التيوس:

ترى التيس عندهم كالجواد * بل التيس وسطهم أنجب.

فلا تدعهم لقراع الكماة * وناد إلى سوءة يركبوا.^{٢٣}

في هذين المثالين من قصيدة حسان عندما يهجو القبيلتين - مخزوم والتيوس- نجد أنه لم يترك لهم خلقاً أو صفة تدل على رفعة نسبهما بل سلب منهما مكارم الأخلاق وطعنهم طعناً شديداً.

ب: التهمك والسخرية:

فيما أرى أن هذا الأسلوب منتشر جدا في العصر الجاهلي حيث كان الشعراء آنذاك لا يكفون لسانهم عما يحزن غيرهم؛ لذلك تراهم يسبون بعضهم بعضاً حتى في صفة خلقية ' اسمع ما قاله حسان بن ثابت لبني الحماس:

لا بأس بالقوم من طول ولا عظم * جسم البغال وأحلام العصافير.

كأنهم قصب جوف مكاسره * مثقب فيه أرواح الأعاصير.^{٢٤}

كان حسان أراد أن يضحك الناس بشعره؛ لذلك نجده يفخم القول ويركز على العيب الذي رأى من مهجونه؛ ليسد انتباه الناس إلى قوله.

ج: الهجاء بالصفات الجسمية والعيوب الخلقية :

يقول حسان بن ثابت يهجو بعض بني سهم :

كأن ريحهم في الناس إذ برزوا * ريح الكلاب إذا ما بلها المطر.

أولاد حام فلن تلقى لهم شبةا * إلا التيوش على أكتافها الشعر.^{٢٥}

^{٢٣} انظر كتاب في أدب صدر الإسلام للدكتور أحمد معيطة صفحة ٢١٩.

^{٢٤} كتاب في أدب صدر الإسلام للدكتور أحمد معيطة صفحة ٢٢٠

ذكرتُ هذا البيت مستدلاً على ما نحن بصدده وهو الهجاء بالصفة الجسمية والعيوب الخلقية نرى الشاعر يذم مهجوه بصفة خلقية و قائلًا في البيت " إذبرزوا ريح الكلاب " الظواهر الأسلوبية الأدبية في العصر الإسلامي.

أ : عدم تضخيم الشعر بهجاء المهجو والتركيز عليه

فيما أرى من الأساليب الشعرية في هذا العصر الإسلامي أنّ الإسلام دين يدعو إلى الكف عن الفواحش وكما نعرف أن الهجاء في الشعر منبعه و مصدره الفحش لكن لما جاء الدين الحنيف بظهور الرسالة المحمدية، نزع ثوب القبيح الذي كان في عنق الشعراء الجاهليين و ألبسه بثوبه الجديد الجميل، و مثلًا نرى الحطيئة يهجو الزبيرقان ولو كان قد سبق لنا الحديث عنه في الهجاء بالخبيل من هذا البحث، والذي يدقّ النظر في ذلك ، دع المكارم لا ترحل لبغيتها يجد أنّ الشاعر لم يركّز على العيب الذي رأى من مهجوه - كما هو الحال عند شاعرنا وشاعر حسان بن ثابت - لكن هجاءه بطريقة غير المباشرة.

ب : الأسلوب بعدم الصراحة في القول:

يقول جرير في هجائه لبني تميم :

ترى الأبطال قد كلمو وتيم * صحيحو الجلد من أثر الكلوم .^{٢٦}

من الأساليب التي يتسم بها هذا العصر أن يستخدم الشاعر المعايير التي تدل على الصراحة بالقول ؛ لأنّ الشاعر لم يقل إن بني تميم جبان لكنه استخدم رمزا يدل عليه و هو صحة جلدهم في المعركة مما يدل على أنهم بعيدون إلى المعركة أثناء الحرب.

المبحث الثاني

ظاهرة التكرار في شعر الهجاء الجاهلي:

ينبغي أن نتعرف على معنى التكرار قبل أن نتحدّث عن ظاهرتة فالتكرار مأخوذ من الكر و هو الرجوع عن الشيء أما في اصطلاح البلاغيين فقد عرفه ابن معصوم قائلًا: "التكرار وقد يقال التكرير: هو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر بالمعنى واللفظ لنكتة إما للتوكيد ، أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو التعظيم أو التلذذ بذكر المكرر والنكتة بمعنى الأثر في الشيء".^{٢٧}

يرد التكرار في الهجاء للشعر الجاهلي بأغراض تحت الأشكال البلاغية واكتساب طاقات إيحائية من تلك الطاقات التي تحملها اللغة الشعرية نفسها. و من أمثلة ذلك ، قول أوس بن حجر :

^{٢٥} كتاب في أدب صدر الإسلام للدكتور أحمد معيطه صفحة ٢٢١

^{٢٦} انظر كتاب الهجاء والهجاءون صفحة ٣٥ .

^{٢٧} انظر كتاب قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي للدكتور موسى رابعة جامعة تبوك الطبعة الاولى ٢٠١٠م صفحة ١٤

أبني لبيني لستم بيد ** إلا يدا ليس لها عضد.
 أبني لبيني لا أحقكم ** وجد الإله بكم كما أجد.
 أبني لبيني لست معترفا ** ليكون ألام منكم أحد.
 أبني لبيني إن أمكم ** أمة وإن أباكم عبد.
 أبني لبيني إن أمكم ** دحقت فخرق ثغرها الزند.
 لتتأمل في هذا البيت نجد أن (أبني لبيني) جاء مكررا أكثر من أربعة مرات في البيت مما يد على التأكيد ؛ لأن البيت في صفحة الهجاء لما نرى أوس يهجو بني لبيني و أما ورود هذه الكلمة على هذا النوع المكرر فيدل على التأكيد في الذم والإهانة.
 وندقق النظر أيضا في البيت نجد أن كلمة " إن أمكم " وردت مرتين و هذا يدل على شدة إثبات هجاء أوس هذا القوم.

المبحث الثالث

ظاهرة التكرار في شعر الهجاء الإسلامي:

قال ذو الرمة يهجو:

تسمى امرأ القيس بن سعد إذا اعتزت **
 و لكنها أصل امرأ القيس معشر **
 نصاب امرئ القيس العبيد و أرضهم **
 تخطى إلى الفقر امرؤ القيس إنه ***
 تحب امرؤ القيس أن تتاله ***
 هل الناس إلا يا امرأ القيس غادر ***
 يقع هذا التكرار في الهجاء على شدة التوضيح بالمهجو. و منه أيضا.

ما قاله جرير للفرزدق:

أعد الله للشعراء مني ** صواعق يخضعون لها الرقابا .
 قرئت العبد عبد بني نمير * مع القينين إذ غلبا وخابا .
 فلا صلى الإله على نمير * و لا سقيت قبور هم السحبا .
 ولو وزنت حلوم بني نمير * على الميزان ما وزنت ذبابا .
 إن كلمة نمير جاءت متكررة لتقيد التهكم وال الذم والهجاء .

الخاتمة

من أبرز النتائج التي توصلت إليها بعد مقارنة أسلوبية في شعر الهجاء بين العصرين جاهليا و إسلاميا ، رأيت أن لو سلمنا جدلا أن الظواهر والألوان الجاهلية التي كان أثرها واضحا في الشعر الجاهلي بالدليل أن شعراء هذا العصر يبنون أشعارهم عليها ، و أما الشعراء في العصر الإسلامي أو الذين عاشوا - بعد حياتهم الجاهلية - فلا بد أن يكون قد دخل في أشعارهم جزءٌ يسيرٌ من الألوان الجاهلية فيدخلون الروح

الإسلامية في شعرهم ، من ذلك أنهم يتركون المبالغة و الغلوّ في هجائهم كما هو الحال عند الجاهليين ، و إنّ القيم الإسلامية تُلزم للشعراء الإسلاميين أن يبنوا هجاءهم على الحدّ الذي رسم لهم الإسلام.

و بالإضافة إلى ذلك أن نزول القرآن جعل الشعراء يكتسبون أساليب جديدة و هي أساليب القرآن في تعبيرهم كما نرى حسّان بن ثابت يستخدم من هذه الأساليب الرائعة؛ لما تأثر به من الآيات القرآنية.

قال حسّان بن ثابت رداً على سفيان بن حارث حين هجا النبي - صلى الله عليه وسلم - :
 أتجهوه و لست له بكفاء ** فشركما لخيركما الفداء.^{٢٨}

نجد في هذا البيت استدعاءً لقوله تعالى " أي الفريقين خير مقاما و أحسن نديا" ^{٢٩} وبعد فحصي الدقيق وجدت أن الألفاظ المستخدمة في الشعر الجاهلي عند الهجاء ألفاظ مقذعة صريحة بيد أنها تلبس ثوبا قشيبا عند الشعراء الإسلاميين بالدليل أنّهم يستخدمون الألفاظ المجردة من سمات الألفاظ الجاهلية.

^{٢٨} انظر " كتاب الأدب العربي بين الجالية والإسلام للدكتور عبد المنعم خفاجي د. حسن جاد حسن و د. عبد الحميد محمد المسلوت دار للدراسات و النشر والرحمة ٢٠١٢م

^{٢٩} سورة مريم أية ٧٣

المراجع

- ١ : معجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ٢ : مختار الصحاح للرازي.
- ٣ : كتاب العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف.
- ٤ : كتاب "طبقات فحول الشعراء " لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر.
- ٥ : الهجاء والهجاءون في الجاهلية " للدكتور محمد محمد حسين.
- ٦ : كتاب " في أدب ما قبل الإسلام للدكتور محمد عثمان علي.
- ٧ : المصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد.
- ٨ : كتاب الأدب العربي في الأندلس للدكتور عبد العزيز عتيق
- ٩ : كتاب " أدب عرب الجاهلية والإسلام للدكتور منذر معاليقي.
- ١٠ : كتاب "الهجاء والهجاءون في الجاهلية" للدكتور محمد حسين .
- ١١ : كتاب فن الهجاء و تطوره عند العرب بقلم ايليا حاوي دار الصحافة بيروت لبنان .
- ١٢ : كتاب الأدب العربي بين الجالية والإسلام للدكتور عبد المنعم خفاجي د .حسن جاد حسن و د.عبد الحميد محمد المسلوت دار للدراسات و النشر والرحمة .